محاضرة 03:

مراحل جمع القرآن، معايير ترتيب سور وآيات القرآن(وقفية أم اجتهادية)

أ-جمع القرآن الكريم و كتابته:

لجمع القرآن معنيان ففي قوله تعالى: ﴿ إنّ علينا جمعَه و قرآنه﴾ ورد الجمع بمعنى الحفظ ومنه جُمّاع القرآن: أي حفّاظه، و المعنى الثاني لجمع القرآن هو كتابته مفرق الآيات و السور، أو مرتب الآيات فقط، وكل سورة في صحيفة على حدة، أو مرتّب الآيات و السور في صحائف مجتمعة تضم السور جميعا وقد رتّبت إحداها بعد الأخرى . فأمّا جمع القرآن بمعنى حفظه واستظهاره في القلب فقد أوتيه رسول الله قبل الجميع ، فكان عليه السلام سيّد الحفّاظ وأول الجمّاع ، وتيسّر ذلك لنخبة من صحابته على عهده صلى الله عليه وسلّم . واشتهر بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب. وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعريّ. وقد قرأ على أبيّ بن كعب جماعة من الصحابة: منهم أبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السّائب، وأخذ ابن عبّاس عن زيد بن ثابت أيضا، وأخذ عنهم خلق من التابعين. وأمّا جمع القرآن بمعنى كتابته، فقد اتّخذ ثلاثة أشكال في ثلاثة عهود في الصدر الأول.

1-جمع القرآن كتابة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

اتّخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتّابه للوحي من أجلاّء الصحابة كعلي، ومعاوية، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها، حتّى تظاهر الكتابة في السطور الجمع في الصدور، كما كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم، دون أن يأمرهم النبي "ص" فيخطونه في العسب (جريد النخل)، واللّخاف (صفائح الحجارة)، والرقاع (جلد أو ورق)، والأكتاف (عظم البعير أو الشاة).

وكان الصحابة يعرضون على رسول الله "ص" ما لديهم من القرآن حفظا وكتابة كذلك، ولم تكن هذه الكتابة في عهد النّبي "ص" مجتمعة في مصحف عام ، بل عند هذا ما ليس عند ذاك، وقبض رسول الله والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب في الصحف، مفرّق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط وكل سورة في صحيفة على حدة، بالأحرف السبعة، ولم يجمع في مصحف عام، حيث كان الوحي يتنزّل تباعا فيحفظه القرّاء، ويكتبه الكتبة، ولم تدع الحاجة إلى تدوينه في مصحف واحد لأنه "ص" كان يترقّب نزول الوحي من حين لآخر وقد يكون منه النّاسخ لشيء نزل من قبل، وكتابة القرآن لم يكن ترتيبها بترتيب النزول بل تكتب الآية بعد نزولها حيث يشير "ص" إلى موضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا في سورة كذا. وسمّي هذا الجمع في عهد النبي "ص" حفظا وكتابة **"الجمع الأول".**

2-جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

قام أبو بكر بأمر الإسلام بعد رسول الله "ص" وواجهته أحداث جسام في ارتداد جمهرة العرب، فجهّز الجيوش وأوفدها لحروب المرتدين وكانت غزوة أهل اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة تضمّ عددا كبيرا من الصحابة القرّاء، فاستشهد في هذه الغزوة سبعون قارئا من الصحابة فهال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودخل على أبي بكر رضي الله عنه وأشار عليه بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع، فإن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بالقرّاء، ويخشى إن استحرّ بهم في المواطن الأخرى أن يضيع القرآن ويُنسى.

فأرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت لمكانته في القراءة والكتابة والفهم والعقل وطلب منه تتبع القرآن وجمعه، فانطلق زيد يراعي نهاية التثبّت فلا يكتفي بالحفظ دون الكتابة وأخذ يتتبّع القرآن ويجمعه من العسب واللّخاف وصدور الرجال فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر ثم عند حفصة بنت عمر. وقد كان القرآن مكتوبا في عهد النبي "ص"، ولكنّه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، فأمر أبو بكر بجمعه في مصحف واحد مرتب الآيات والسور وأن تكون كتابته غاية من التثبت مشتملة على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، فكان أبو بكر رضي الله عنه أول من جمع القرآن بهذه الصفة في مصحف، ويرى بعض العلماء أن تسمية القرآن بالمصحف نشأت منذ ذلك الحين في عهد أبي بكر بهذا الجمع. وهذا الجمع هو المسمّى **"بالجمع الثاني"** .

3-جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه:

اتسعت الفتوحات الإسلامية، وتفرّق القرّاء في الأمصار، وأخذ أهل كل مصر عمن وفد إليهم قراءته، ووجوه القرّاء التي يؤدون بها القرآن مختلفة باختلاف الأحرف التي نزل عليها، فكانوا إذا ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الغزو عجب البعض من وجوه هذا الاختلاف، وكان عثمان رضي الله عنه قد بلغه أن شيئا من ذلك الخلاف يحدث لمن يُقرئون الصبية، فأكبر الصحابة هذا الأمر مخافة أن ينجم عنه التحريم والتبديل، وأجمعوا أمرهم أن ينسخوا الصحف الأولى التي كانت عند أبي بكر، ويجمعوا النّاس عليها بالقراءات الثابتة على حرف واحد.

أرسل عثمان إلى حفصة فأرسلت إليه تلك الصحف، ثم أرسل إلى زيد بن ثابت الأنصاري وإلى عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام القرشيين، فأمرهم أن ينسخوها في المصاحف وأن يُكتَب ما اختلَف فيه زيد مع رهط القرشيين الثلاثة بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم. وكُتِبت مصاحف على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ليجتمع الناس على قراءة واحدة، وردّ عثمان الصحف

إلى حفصة وبعث إلى كل أفق بمصحف من المصاحف، واحتبس بالمدينة واحدا هو مصحفه الذي سُمّي **" الإمام".**

ب -معايير ترتيب سور وآيات القرآن:

1-ترتيب الآيات:

القرآن سور و آيات منها القصار والطوال، و الآية : هي الجملة من كلام الله المندرجة في سورة من القرآن، و السورة: هي الجملة من آيات القرآن ذات المطلع و المقطع، وترتيب الآيات في القرآن الكريم توقيفي عن رسول الله صلى الله عليه و سلّم، فقد كان جبريل يتنزّل بالآيات على رسول الله " ص" ويرشده إلى موضعها من السورة، أو الآيات التي نزلت قبل، فيأمر الرسول كتبة الوحي بكتابتها في موضعها ويقول لهم: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا أو كذا، أو ضعوا آية كذا في موضع كذا، وكان جبريل يعارض رسول الله "ص" بالقرآن كل عام مرة في رمضان وعارضه في العام الأخير من حياته مرتين وكان ذلك العرض على الترتيب المعروف الآن وبهذا يكون ترتيب آيات القرآن كما هو في المصحف المتداول في أيدينا توقيفيّا لا مَراء في ذلك.

2-ترتيب السور:

اختلف العلماء في ترتيب السور:

أ-الرأي الأول: قيل إنه **توقيفي**: تولاّه النبي " ص" كما أخبر به جبريل عن أمر ربّه، فكان القرآن على عهد النبي "ص" مرتّب السور، كما كان مرتّب الآيات على هذا الترتيب الذي لدينا اليوم، وهو ترتيب مصحف عثمان الذي لم يتنازع أحد من الصحابة فيه ممّا يدلّ على عدم المخالفة والإجماع عليه.

ب-الرأي الثاني: وقيل إنّ ترتيب السور **باجتهاد من الصحابة** بدليل اختلاف مصاحفهم في الترتيب. فمصحف علي كان مرتّبا على النزول، أوّله: اقرأ، ثم المدثر، ثم (ن) و القلم، ثم المزمل وهكذا إلى آخر المكي و المدني.وكان أول مصحف ابن مسعود: البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.

ج-الرأي الثالث: وقيل: إن بعض السور ترتيبها توقيفي وبعضها باجتهاد الصحابة: حيث ورد ما يدلّ على ترتيب بعض السور في عهد النبوّة، فقد ورد ما يدلّ على ترتيب السبع الطوال و الحواميم و المفصل في حياته "ص".

وبالنظر إلى هذه الآراء الثلاثة يتبيّن لنا :

الرأي الثاني الذي يرى أن ترتيب السور باجتهاد الصحابة لم يستند إلى دليل يعتمد عليه، فاجتهاد بعض الصحابة في ترتيب مصاحفهم الخاصة كان اختيارًا منهم قبل أن يُجمع القرآن جمعا مرتّبا فلما جُمعَ في عهد عثمان بترتيب الآيات و السور على حرف واحد واجتمعت الأمة على ذلك تركوا مصاحفهم.

أمّا الرأي الثالث الذي يرى أن بعض السور ترتيبها توقيفي، وبعضها ترتيبه اجتهادي، فإن أدلته ترتكز على ذكر النصوص الدالة على ما هو توقيفي أما القسم الاجتهادي فإنّه لا يستند إلى دليل يدلّ على أن ترتيبه اجتهادي، إذ أن ثبوت التوقيفي بأدلته لا يعني أنّ ما سواه اجتهادي، وبهذا يترجّح أن ترتيب السور **توقيفي** كترتيب الآيات.